

## التحديثي سلامة موسى ومدركاتنا الجماعية "تجديد وإصلاح، أم تجاوز وقطيعة"

\*  
حاتم البوعناني

hatimbouanani@gmail.com

**تقديم** تعالج هذه المقالة رؤية المفكر المصري "سلامة موسى" (1887 - 1958) باعتباره واحدا من أعلام النهضة الفكرية العربية. وتتناولها من حيث طبيعتها التي تعمل على تجاوز مدركاتنا الجماعية وإحداث قطيعة معها مُعتمدة على عرض سطحي للأفكار دون تحليلات معمّقة، وذلك بالرغم من قيمة الأفكار المهمة المطروحة والتي كانت ذا أثر كبير على الساحة الفكرية العربية خلال النصف الثاني من القرن العشرين. كما تسعى هذه المقالة رسم دراسة موضوعية عن رؤية هذا المفكر التحديثي، بعيدا عن المدح المفرط، أو الرفض المتعصب. فقد كان من بين من تعرّض لسلامة موسى فئة تحمّست لأفكاره بشدة (غالي شكري في "[سلامة موسى وأزمة الضمير العربي](#)"، محمود الشرقاوي في "سلامة موسى: المفكر والإنسان")، وربما هذه المبالغة في تمجيد سلامة موسى والدفاع عنه، جاءت كردة فعل على الطرف الآخر الذي صنّف مبكرا سلامة موسى ضمن الأعداء والخصوم، فاعتُبر عميلا حضاريا.

والمقالة تحاول الجواب عن سؤال أساس هو: هل يستطيع المفكر الإصلاحي - من مثل سلامة موسى - النجاح في مشروعه النهضوي بالاعتماد على النقد الشكلي والتجاوز السريع لأصول مدركاتنا الجماعية؟ وترتكز فرضية الباحث على أنه من الصعب أن يُكلّل المشروع النهضوي القائم على الطرح السطحي - غير المتفحص - بالنجاح، إذ يفقد هذا التصور النفاذ في الرؤية، والبُعد في النظر، كما يفتقر إلى التحليل العميق، فهذا التصور يعمل على تجاوز مدركاتنا الجماعية ويحول دون الرجوع إليها والعمل على إحيائها.

وتنتظم أفكار هذه المقالة عبر ثلاثة محاور أساسية: السياق الزمني والمكاني لمحاولة سلامة موسى التحديثية؛ أفكار سلامة موسى ومواقفه؛ إشكالية مشروعه المتمثلة في الانتقائية والانفعال السطحي.

### 1. السياق الزمني والمكاني لمحاولة سلامة موسى التحديثية: لكي نستطيع استيعاب فكر "سلامة

موسى" والذي ساد كتاباته طوال خمسين سنة، وجب علينا الإشارة إلى السياق الزمني والمكاني لمحاولته التحديثية، بما شهدته من أحداث ستمكننا من الكشف عن مصادر أفكاره. فقد عرف العالم العربي منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي حالة من عدم الاستقرار الفكري والسياسي والاجتماعي، حيث كانت المجتمعات العربية تحت وطأة الاستعمار الغربي، وكانت قضية التحرر من الاستعمار والنهضة الشاملة من أهم الإشكالات التي واجهها المجتمع ومثقفو تلك الفترة، فتعددت في ذلك المشاريع والتوجهات.

وقد شهد الفكر العربي بوجه عام، معارك طاحنة بين اتجاهات فكرية وثقافية متباينة ومتناقضة. وكانت القاهرة هي العاصمة العربية الأولى التي دارت فيها هذه المعارك، وكانت منابرها الصحفية هي المنابر التي كتب فيها مفكرون مصريون، وشوام، ومغاربة، بحثوا جميعا عن هوية مشتركة، أو تناقشوا حول سبل التقدم والتحديث. وكان للمسيحيين العرب في تلك الفترة دور ملموس، خاصة الشوام ممن رفعوا العقلانية والعلمانية كمحاولة للتخلص من الحكم العثماني الذي شهد في أواخر عهده حالة من التدهور الكبير، خاصة في مجال الحريات. وقد انتقل بعض هؤلاء المسيحيين إلى مصر، وأتاح لهم الاستعمار البريطاني سبل التعبير عن أفكارهم، من خلال المؤسسات الصحفية والكتابات، وهو ما أدى إلى ذبوع وانتشار تلك الأفكار، وتأثر بهذه الأفكار عدد من المصريين مسلمين ومسيحيين<sup>١</sup>.

ولقد شهد هذا القرن اكتشافات علمية كبرى، واكبها تطور في التنظيمات الاجتماعية وظهور مذاهب فكرية جديدة طغت عليها الدعوة إلى الحرية والاشتراكية والتحرر والبعث القومي. ومن أهم ما شهدته الساحة في تلك الفترة دعوات للعلمانية الراغبة في تحييد دور الدين في الحياة، ودعوات إلى إحياء القوميات والانتماءات القديمة مثل الفرعونية، ودعوات لتخلي مصر عن رابطها الشرقية وتوجيهها كلياً صوب الغرب، وتبني الحضارة الغربية. وكان من أبرز الدعاة إلى ذلك سلامة موسى.

2. أفكار سلامة موسى ومواقفه: تستطيع معرفة الاتجاه العام لفكر أي كاتب أو مفكر من خلال النظر إلى عناوين مؤلفاته، وعلى ذلك فإن إلقاء نظرة سريعة إلى عناوين أهم الكتب التي وضعها "سلامة موسى" تكشف عن غلبة الطابع العلمي لفكره، فقد ألف حوالي أربعين كتاباً، أبرزها: مقدمة السوبرمان، نشوء فكرة الله، الاشتراكية، ما هي النهضة؟، أحلام الفلاسفة، حرية الفكر وأبطالها في التاريخ، نظرية التطور وأصل الإنسان، الشخصية الناجعة، تربية سلامة موسى، هؤلاء علموني، مقالات ممنوعة، وغيرها.. ويتسم فكر سلامة موسى بعدة سمات، لعل أهمها:

أ. النزعة العقلية العلمانية: كان سلامة موسى من الأوائل الذين نادوا بالعلمانية "الراديكالية"<sup>iii</sup>، إذا رأى ضرورة التحرر من كل قيود التراث العربي والإسلامي في كافة جوانب الحياة، ودعا إلى ضرورة الاتجاه إلى الحضارة الغربية والأخذ بها في كل جوانبها، فتحقيق النهضة الحقيقية بالنسبة إليه لا يمكن أن تتحقق إلا بالقضاء على الفوارق الاجتماعية الناجمة عن الفوارق الدينية، فالاتجاه إلى الغرب وتمثل حضارته هو الكفيل بتحقيق الإقلاع الحضاري<sup>iv</sup>.

وقد ساهمت عدة عوامل في تشكيل فكر سلامة موسى، منها تأثره بالفكر المادي والانهار بالنموذج الغربي، والذي كان يدعو إليه في مصر كل من "يعقوب صروف" و"فارس نمر" و"شلي شميل" و"فرح أنطون" و"[أحمد لطفي السيد](#)" وغيرهم.

كما تأثر بأسلوب "برناردشو" في أسلوبه الساخر في تناول القضايا وعرضها، وتأثر بـ "فولتير" في اعتبار أن التفكير الغيبي من أخطر معوقات التطور التاريخي، وكذلك بـ "مونتسكيو" في وصفه حركة التاريخ وتطوره<sup>v</sup>، وأعجب بكل من "فرنسيس بيكون" و "جون ديوي" لإعطاءهما التجربة أهمية عظيمة، كما دعا جمهور القراء العرب إلى الوقوف على ما يفكر فيه فلاسفة أوروبا، وإلى اتباع "ابن رشد"، وإنكار "الغزالي"، لأن "ابن رشد" دعا إلى العقل والفلسفة، أما الغزالي فقد جمد الفلسفة<sup>vi</sup>.

وكان لـ "نظرية داروين" أثر كبير في فكر سلامة موسى، حيث يقول: "قرأت أكثر من ألف كتاب ... ولكن الكتاب الأول الذي له فضل الصياغة والتوجيه لشخصيتي هو كتاب داروين، فإنه زاد عمري"<sup>viii</sup>.

وقد خصّ سلامة موسى لهذه المسألة كتاباً شرح فيه نظرية التطور بلغة بسيطة وسهلة، سماه "نظرية التطور وأصل الإنسان"، كما شملت بعض مؤلفاته عدة فصول تحدث فيها بإسهاب عن هذا الأمر، مثل "مختارات سلامة موسى" و"اليوم والغد". فهو يرى في نظرية التطور نظرية الرجاء والترقي، والمفتاح الذي يفتح لنا مغاليق الماضي المبهمة، ويرسم لنا مصير الإنسان<sup>viii</sup>.

وباعتماده على نظرية التطور، فسّر سلامة موسى ظهور الدين بأنه من صنع الإنسان، تطور مع تطور أشكال البشرية، حيث يقول: "فالدين نشأ وتطور ولم يبلغ التوحيد الراهن عند المسلمين والنصارى واليهود إلا بعد أن مرّ في أدوار عديدة، وتخلص من زوائد بُنيت عليه من الجهالات القديمة"<sup>ix</sup>.

إنَّ حب سلامة موسى لداروين، وتحيزه لنظرية التطور منذ نشأته الثقافية، تركا أثرهما في أسلوب الكتابة عنده، حيث يقول: "أنا أؤثر أسلوب داروين: أسلوب المنطق الصارم، والحذر والاعتدال على أي أسلوب آخر يوصف بأنه أدبي".<sup>x</sup>

وقد أخذت نظرية التطور عند سلامة موسى مكاناً دينياً، فنظر إليها بوصفها دينه الجديد، حيث لم تكن بالنسبة إليه نظرية علمية فحسب، بل كانت في تصوره فكرة كفاحية، استطاعت أن تتصدى للجمود والعقائد والتقاليد الموروثة، إذ يؤكد قائلاً: "عندما أستبطن إحساسي الديني أجد أنَّ بؤرة هذا الإحساس هو التطور".<sup>xi</sup>

فعنده مشكلات الزواج والطلاق، والعائلة، والجريمة، والتربية والسياسة لن تُحل إلا بثقافة علمية تتجاوز الغيبيات، فتعمُّ بذلك العقلانية العلمية وليس التقاليد والعقائد".<sup>xii</sup>

كما أنه لا يستطيع أن يتصور نهضة عصرية شرقية مالم تقم على المبادئ الأوربية للحرية والمساواة والدستور مع النظرة العلمية الموضوعية للكون".<sup>xiii</sup>

ويورد سلامة موسى رأياً خاصاً حول الدين في كتابه «تربية سلامة موسى»: "إنني أؤمن بالمسيحية والإسلام والمهودية، وأحب المسيح، وأعجب بمحمد وأستنير بموسى، وأتأمل بولس وأهفو إلى بوذا. وأحس أن كل هؤلاء أقربائي في الروح أحياء معهم على تفاهم وأستلهم منهم المروءة والحق والرحمة والشرف، وأؤمن أيضاً بالطبيعة وجلال الكون، ولا أنسى المعنى الديني في نظرية التطور.. بل إنني لأجد هذا المعنى الديني في جمال المرأة وقداصة الأمومة وشرف الإنسانية.. وأنا رجل قد أكسبني الثقافة النظرة الشاملة للحياة والكون، وأعتقد أنه لا يمكن للإنسان أن تتكون له شخصية دينية سامية ما لم يكن مثقفاً قد حقق النظرة الاستيعابية للكون".<sup>xiv</sup>

والأستاذ عبد الله العروي في تطرقه لأشكال الوعي في البلاد العربية، قسمها إلى شكل خانات جامدة، فهناك خانة "الشيخ" وخانة "السياسي" وخانة "داعية التقنية"، حيث استدلل على أشكال الوعي هاته برموز ثقافية عربية هي محمد عبده (الشيخ)، لطفي السيد (السياسي الليبرالي)، بينما جعل سلامة موسى في خانة (داعية التقنية)، أي الشخص المهتم بالنشاط العلمي والصناعي، إذ يقول في هذا السياق: "استوحينا النمذجة المذكورة من أعمال محمد عبده ولطفي السيد وسلامة موسى لأننا اعتبرنا أن هؤلاء المؤلفين يجسدونها أوضح وأظهر ما يكون التجسيد".<sup>xv</sup>

إذن فقد اتخذ سلامة موسى العقلانية منهجاً ثابتاً في التعاطي لأي مشكلة، وفي خضوعه رفض العديد من المقولات الدينية التي رأى فيها فكرياً غيبياً، حيث أكد على أن إحلال العلم محل الدين ورفض الغيبيات، هو السبيل لتحقيق النهضة، وبلوغ التقدم والازدهار.

ب. النزعة المصرية (الفرعونية): ما يميز سلامة موسى كذلك هي نزعته الفرعونية، وقد كان في ذلك متأثراً بتلك النعرة القومية المدعومة من الفلسفات المادية والعرقية الغربية، والمستندة إلى ما سعي وقتها بالدراسات الفرعونية التي أعقبت فك رموز "حجر شمبليون"<sup>xvi</sup> واكتشاف اللغة المصرية القديمة، والتي بناء عليها نشأ ما سعي وقتها بالتيار الفكري الفرعوني، الذي يدعو إلى عودة المصريين إلى الهوية الفرعونية.

فقد دعا سلامة موسى إلى تحديد مفهوم جديد للشخصية المصرية يستند إلى أساس يختلف عن الرابطة الشرقية والدينية، ويربط بين الجنسية والمنفعة، وطالب من خلال دعوته إلى أن تُصنع الأفلام التاريخية عن الفراعنة، وأن تُؤلف الكتب باللغة العربية في تراجم هؤلاء الفراعنة، كما يجب على المدارس أن تتوسع في تدريس التاريخ الفرعوني".<sup>xvii</sup>

فهذه الأمور بالنسبة إليه من شأنها أن تُتمم شخصية المصري التاريخية وتزيد كرامته القومية، وتنير الأذهان عن الأصول والأسس التي قامت عليها هذه الحضارة، أي حضارة العالم<sup>xviii</sup>. ذلك "أن الفراعنة ليسوا آباءنا فقط بل هم آباء العالم الذي تعلم منهم كيف يترك حياة البداوة إلى حياة الزراعة والحضارة، وهم لذلك جديرون بدرسنا وفخارنا"<sup>xix</sup>.

ج. الدعوة إلى الاشتراكية: لقد تأثر سلامة موسى بالفكر الاشتراكي الماركسي خاصة أنه انتهى في فترة من حياته إلى "الجمعية الفابية البريطانية"<sup>xx</sup> التي كانت تدعو إلى تحقيق الاشتراكية بالتدرج ودون عنف أو ثورة. وتجلّى ذلك من خلال كتابه "الاشتراكية" الذي ألفه سنة 1912، حيث يعد أول مؤلف عربي يكتب عن الاشتراكية<sup>xxi</sup>.

وتقتضي الاشتراكية عنده "إلغاء الملكية الفردية التي تؤدي إلى استغلال الغير ... والغرض الأساسي للاشتراكية تحقيق الحرية الاقتصادية، حتى تتساوى الفرص بين الناس في الإثراء، فيلغى مبدأ الإرث لأن وجوده ينافي هذه الحرية الاقتصادية التي تتطلب أن يولد الناس متساوين، لا يمتاز أحدهم على الآخر بغير مميزاته الطبيعية"<sup>xxii</sup>.

وقد أكد "سلامة موسى" على أن دعوته إلى الاشتراكية تختلف عن الاشتراكية الماركسية البلشفية، مبيناً أن وجهته الفابية بعيدة عن أسلوب الثورة والعنف في تطبيق المذهب الاشتراكي، بل أن سبيلها التعليم وتربية الرأي العام والمشاركة<sup>xxiii</sup>.

د. نبذ العربية الفصحى والدعوة للعامية: اتجه سلامة موسى إلى الهجوم على اللغة العربية الفصحى، وهو يلاحظ عليها أمرين: أولاً، صعوبة تعلمها، وثانياً، عجزها عن خدمة الأدب المصري والتهوض به، وبذلك يدعو إلى ضرورة اتخاذ "اللغة المصرية العامية" وسيلة للتعبير والكتابة بدلاً من "اللغة الفصحى".

ويقول في هذا الصدد: "أعظم تراث اجتماعي لأمة هو لغتها، ... وإذا استعصت هذه اللغة على الفهم وإذا صعب تعلمها أو إذا عجزت عن الأداء العصري واستيعاب العلوم والفنون العصرية، فإن كل شيء بعد ذلك سيعصى على الأمة ما لم تنبذ لغتها وتتخذ لغة أجنبية"<sup>xxiv</sup>.

فهو يرى أنّ اللغة العربية لا تُعلم على الأصول الحديثة في تعليم اللغات، والذي يُعلم في مدارسنا هو قواعد النحو والصرف والبلاغة وهذا موضوع يختلف عن موضوع اللغة<sup>xxv</sup>.

ومن خلال هذا الطرح، يسير سلامة موسى على مذهب المهندس الإنجليزي "وليم ولكوكس" (1852 - 1932) الذي دعا المصريين إلى إحلال العامية محل الفصحى وجعلها لغة للكتابة والقراءة إضافة لكونها لغة للتخاطب، وقد قام بترجمة الإنجيل إلى اللهجة المصرية.

كذلك اتخذ سلامة موسى موقفاً سلبياً من الأدب والتراث العربي، فقد نقد الأدب المصري في تقليده الأدب العربي، وطالب أدباء مصر بالتعلم من أدباء أوروبا التقدميين، مع الإقلال من الصنعة في الأدب، حيث وصف أعمال أدباء تلك الفترة بأدب الفقايق، واعتبر أن "هذا الأسلوب لا يتفق والإنشاء الرصين في الموضوع الجدي، أو الإنشاء الدقيق في الموضوع الفلسفي أو العلمي"<sup>xxvi</sup>. وهو قد أصدر مجلته "المجلة الجديدة" بهدف تغليب الاتجاهات العلمية على الثقافة العربية.

3. إشكالية الكفر بالشرق والإيمان بالغرب: لقد عبّر سلامة موسى عن رؤيته الجديدة والتي لم تكن إلا لتصطدم بالقديم، فرواد هذا العصر استطاعوا أن يصدموا الرأي العام "بعنف"، وهذا ما يتجلّى في قام به "طه حسين" في كتابه "في الشعر الجاهلي"، وكذلك "قاسم أمين" في "تحرير المرأة".

فسلامة موسى ومن خلال ارتكازه على ثنائية الشرق والغرب، وجد في الغربي ذلك الإنسان القادر والمنتصر، الذي يؤمن بالعلم والتطور والاختراع، ونظر إلى الإنسان الشرقي فوجده غارقاً في ظلمات الجهل والفقر والمرض، مُتشبَّثاً بأجواء الخرافات والتقاليد.

ويُعبر عن شعوره إزاء هذا الأمر بأنه كلما زادت معرفته بالشرق زادت كراهيته له، وشعوره بأنه غريب عنه، وكلما زادت معرفته بأوروبا زاد حُبُّه لها وتعلقه بها<sup>xxvii</sup>.

ويضيف كذلك: "هذا هو مذهبي الذي أعمل له طول حياتي سرا وجهراً، فأنا كافر بالشرق، مؤمن بالغرب، وفي كل ما أكتب أحاول أن أغرس في ذهن القارئ تلك النزعات التي اتسمت بها أوروبا في العصر الحديث، وأن أجعل قُرَّائي يولون وجوههم نحو الغرب وينفصلون عن الشرق، لأني أعتقد أن لا رجاء لنا بالنجاح في العالم ... إلا إذا تملصنا مما اكتسبنا من العادات الشرقية في نظام العائلة، والنظر للمرأة، والنظر للأدب، حتى في النظر للصناعات والمعاش<sup>xxviii</sup>".

أما فيما يتعلق بالقومية أو الوطنية: فلم يعن بهما "سلامة موسى"، فتشيعه المفرط للغرب أدى به إلى مصادرة فكرة الوطنية لصالح فكرة الحضارة العالمية، حيث رأى أن الانتماء إلى الوطن، بل والإخلاص له لا يتعارض مع النزعة العالمية، وينبغي ألا تحول قوميتنا -المصرية- بيننا وبين ولائنا للعالم، بل يجب أن تكمله وتسير إلى جانبه<sup>xxix</sup>.

وهنا يتضح لنا مدى انتصار "سلامة موسى" للحضارة الغربية والفكر العلماني الذي أدى به إلى حد المطالبة باستبدال هويتنا العربية بالهوية الغربية، والعزوف عن القومية للانخراط في العالمية. كما أنه لا يرفض الماضي إلا إذا كان عربياً إسلامياً، أما الماضي الفرعوني الذي هو أكثر قدامية وإغلاً في الزمن، فإنه يقبل به ويدعو إلى ابتعائه.

وما يُثير الاهتمام في فكر سلامة موسى، انقياده التام واستسلامه العجيب تجاه القيم الغربية، إذ يُلاحظ الغياب المطلق لكل روح نقدية تجاهها، وفي مقابل ذلك نجد كتاباته قد امتلأت نقداً للتراث العربي الإسلامي<sup>xxx</sup>.

ويمكن تفسير عدم التوازن في هذا الطرح بالهزيمة النفسية الثقافية التي عاشها مثقفو هذا العصر عموماً، وهي أزمة ناتجة عن الوضع السياسي والاجتماعي المنحط الذي كانت تمر منه الأمة العربية والإسلامية خلال تلك الفترة، فنجد هذه التبعية الحضارية المطلقة للغرب على نحو انعدم فيه الحسُّ النقدي الفاحص، وعُطِّل معه الإبداع والابتكار.

فقد خضع فكر سلامة موسى لتيارات فكرية مختلفة جمعت بين مذاهب فلسفية متعددة، فلم يتبلور فكره ضمن محور فكري موحد. ونتج عن ذلك نوع من الانتقائية والسطحية والانفعال في أفكاره، فمما يستوقف النظر ذلك "الطابع الانتقائي الذي يقف خلف أغلب خطوات هذا الفكر، حيث نجد أن كل فترة من فترات النضال الثقافي الموسوي تعلن تبعيتها لنتاج فكري غربي. فهذه الانتقائية تقوم بتدمير الخطاب الموسوي وتبعد عنه كل تماسك ممكن، حيث يصبح مجرد خطاب في المنوعات<sup>xxxi</sup>".

كما نتجت عن هذه الانتقائية نوع من السطحية الفكرية في الخطاب الموسوي، إذ لا يمكن أن نعثر في نصوص سلامة موسى على عناصر نظرية عميقة ومتكاملة، بقدر ما نجده يكتفي بمراجعة المؤلفات والمراجع الثانوية<sup>xxxii</sup>.

فقد حاول سلامة موسى "إسقاط الواقع الغربي انطلاقاً من مقايضة جاهزة حتمتها هيمنة الوعي الغربي المسيطر، كما حتمتها أيضاً انتمائه للأقلية، فأنتجت في النهاية خطاب الاحتفال التاريخي بالغرب في الشرق، احتفالاً لم تُراع فيه قواعد التاريخ<sup>xxxiii</sup>"، كما لوحظ عنه أيضاً أنه كان ينقل أفكار المفكرين الأوروبيين ويشير إلى بعضهم بينما هو لم يقرأ لهم، فمثلاً يتكلم عن "برناردشو" فيذكر من كتبه "الإنسان والسوبرمان" فقط، مما يؤكد أنه كان سطحيًا لم يقرأ قراءة

متعمقة<sup>xxxiv</sup>.

ففكره كان معبرا عن عدم توازن وأحادية في النظر، فبينما يبدي الرجل الانبهار الكامل بالغرب، يبدي تعصبا شديدا تجاه الشرق، وهذه الثنائية في التفكير التي وضعت الشرق في مقابل الغرب، كشفت عن نوع من الانهزام والاستسلام الحضاري والتنصل من الهوية، ومحاولة تكريس التبعية الكاملة للآخر. ولذا نستطيع أن نقول: إن نموذج النهضة الذي طرحه سلامة موسى كان يركز على التبعية للغرب وليس على بناء نموذج مستقل للنهضة في الشرق.

إذ طريق العصرية والتقدم لا يكون عنده إلا بالأسلوب الانسلاخي، أي بالتخلي عن اللغة والثقافة الأصليتين وتبني لغة الاستعمار وثقافته. وهذه القطيعة التي يدعو لها سلامة موسى مع مدركتنا الجماعية والوصل التام مع الغرب، لن تُمكن من تحقيق النهضة المنشودة، فهذه النهضة تستلزم وجود قاعدة محلية يمكن أن تزدهر فيها، بما لها من خصوصية اجتماعية وثقافية<sup>xxxv</sup>، فلا يمكن إسقاط التجربة الغربية مع إغفال الواقع العربي، فالحضارة الغربية نشأت في ظل ظروف اجتماعية وسياسية وثقافية خاصة بها.

وبالطبع فقد لاقى سلامة موسى جراء هذه الآراء العلمانية التي تقلل من شأن الغيبيات والعقائد الدينية انتقادات واسعة، فقد اتهمه الأديب "مصطفى صادق الرافعي" بأنه "معاد للإسلام"، وبعدها أصدر كتابه "البلاغة العصرية واللغة العربية" اتهمه "عباس محمود العقاد" بأنه "غير عربي".

كما نجد "محمد عمارة" يتحدث عن مشروع "سلامة موسى" فيقول: "هكذا تكلم سلامة موسى، فبلغت صراحته حد الوقاحة، وكانت له فضيلة الإعلان عن كثير مما يبطن المنافقون من المتغربين"<sup>xxxvi</sup>.

ونجد كذلك بعض الكتابات التي لم تتوانى في الهجوم على سلامة موسى ونعته بأقبح الأوصاف، حيث يقول عنه "سيد بن حسين العفاني" في كتابه "أعلام وأقزام في ميزان الإسلام": "سلامة موسى الكاره للإسلام.. الدجال.. كالشجرة التي تُنبِت مرًا، لا تحلو ولو زُرعت في تراب من السكر"<sup>xxxvii</sup>.

وبعقد مقارنة بين سلامة موسى وبعض المفكرين المصريين مثل "محمد عبده" و"محمد حسين هيكل" و"طه حسين" و"توفيق الحكيم"، نجدهم قد اتصلوا بالثقافة الغربية وعایشوها بنفس القدر والعمق الذي اتصل بها سلامة موسى، إلا أن ميراثهم من الثقافة المصرية والعربية والإسلامية قد وازن وقع الثقافة الغربية عليهم وساعد احتفاظهم بهذا الموروث الثقافي على ألا تكتسحهم الثقافة الغربية بالشكل الذي حدث مع سلامة موسى.

فلم يكن لسلامة موسى من مقومات الانتماء للذات الثقافية العربية الإسلامية ما كان مثلا لطله حسين، لذلك اختلف مستوى التعبير لدى كل منهما عن هذه "المقومات"، فطله حسين يحترمها بينما سلامة موسى يحتقرها ويدعو إلى التخلص منها واستبدالها بالثقافة والمكونات الحضارية الأوروبية<sup>xxxviii</sup>.

وبخصوص مسألة التوفيق التي يجب أن تراعى عند النظر لمسألتي التراث والعصر، نجد "زكي نجيب محمود" يقول: "إن أم المشكلات في حياتنا الفكرية هي محاولة التوفيق بين تراث الماضي وثقافة الحاضر، فمن الماضي تتكون الشخصية الفريدة التي تتميز بها الأمة، ومن الحاضر تستمد عناصر البقاء والدوام في معترك الحياة... وهي تقع بين ماضيها وحاضرها في مأزق حرج، فإن اقتصر على الماضي جرفها الحاضر، وإن اقتصر على الحاضر ضاعت ملامح شخصيتها، فهل من سبيل إلى التقاء الطرفين في مركب واحد... يكون هو ما نُطلق عليه اسم الثقافة العربية المعاصرة؟ هذا هو السؤال الهام في حياتنا الثقافية منذ قرن"<sup>xxxix</sup>.

وعموما، فالتجديد والإصلاح يقتضي المواءمة بين الموروث والوافد، إذ لا يمنع مطلقا الاستفادة من الغرب بما لا يتعارض مع مدركتنا الجماعية، أو الذوبان في الآخر الغربي.

**الخلاصة** ظهر لنا أن "الخطاب العربي التنويري" المتمثل في محاولة سلامة موسى التحديثية من لم يستطع إنتاج مفهوم محدد للنقد، بل ظل النقد كأداة للإصلاح معتمداً كلياً على الغرب؛ وقد رفض سلامة موسى الحلول والمواقف التوفيقية ورآها غير مجدية، ودعا إلى الاتباع التام للغرب وتبني خطاب اشتراكي علماني.

كما وضح لنا تأثير المركزية الأوروبية حاضر بقوة في عقول النخبة المثقفة في العالم الثالث، بحيث لا ترى ذاتها الحضارية إلا من خلال الخبرة الحضارية الأوروبية. لذا يصعب على المفكر الإصلاحي – كما هو شأن سلامة موسى - النجاح في مشروعه النهضوي بالاعتماد على النقد السطحي والتجاوز السريع لأصول مدركتنا الجماعية، فهذا التصور يحول دون الرجوع إليها والعمل على إحيائها.. إلا أنه يُحسب لسلامة موسى أنه كان من بين المفكرين الذين ساهموا في حقل الممارسة الفكرية العربية المعاصرة، بعدما كان الفكر جامداً والواقع الثقافي يعاني التأخر.

ولا يخفى أنه ليس عيباً أن ينتمي الإنسان لقومية أو لطائفة أو لفكرة، فهذا أمر من حيث المبدأ لا اعتراض عليه، وإنما عندما يتحول هذا الانتماء إلى ولاء متطرف ينال من مقومات الاعتدال للولاءات الأساسية للجماعة، المنتمية إلى الحضارة العربية الإسلامية ببعدها الديني وعمقها العربي. آنذاك تضعف أسس هذه الهوية ويظهر الإحساس بالغربة وعدم الانتماء، فتفتت وصال هذه الأمة، ويمنعها ذلك من تحقيق الوحدة المنشودة.

لذا وجب على الناقد الفكري أن تكون له مقاربة عقلية، بعيدة عن النقد الثأري الذي لا يرى معه إلا (حبيباً يُمدح) أو (خصماً يُذم)، فهو في الحالتين يسيء أكثر مما يُفيد. وهو ما يتطلب من المفكرين العرب التحيز لثقافة وحضارة أمتهم العربية بمرجعيتها التنزيهية الموازنة بين المادة والروح. وبالتالي القيام بمراجعة نقدية للمفاهيم الغربية التي تسلت إلى أنماط تفكيرنا وعيشنا وألحقت أضراراً بالمجتمعات العربية، فلا بد من الانحياز لمنطق الأمة الإسلامية التي تعلي من شأن الأمة وتجعلها هي الضابط للدولة<sup>1</sup>.

## لائحة المراجع

1. أحمد ماضي: الفلسفة العربية المعاصرة، بحوث المؤتمر الفلسفي العربي الثاني الذي نظّمته الجامعة الأردنية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1978، ط 1).
2. أحمد محمد جاد عبد الحق: فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي (فريجينا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995، ط 1).
3. جهاد فاضل، "سلامة موسى.. عميل حضاري للغرب"، الشبكة (موقع الراية: [www.raya.com](http://www.raya.com)) بتاريخ 2015/10/31.
4. جوزيف كونتو (تعريب: صلاح عيسى)، "سلامة موسى، المندوب السامي للفكر الاستعماري"، مجلة عيون المقالات (العدد 12، 1 فبراير 1989).
5. زكي نجيب محمود: من زاوية فلسفية (القاهرة: دار الشروق، 1993، ط 4).
6. سلامة موسى: الاشتراكية (مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012).
7. سلامة موسى: البلاغة العصرية واللغة العربية (مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012).
8. سلامة موسى: اليوم والغد (مصر: سلامة موسى للنشر والتوزيع، 1928، ط 1).
9. سلامة موسى: تربية سلامة موسى، تحت عنوان "تربيتي العلمية" (مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012).
10. سلامة موسى: ماهي النهضة؟ (مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012).
11. سلامة موسى: مختارات سلامة موسى (القاهرة: مكتبة المعارف، 1980، ب. ط).
12. سلامة موسى: مصر أصل الحضارة (مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012).
13. سلامة موسى: نظرية التطور وأصل الإنسان (مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012، ب. ط).
14. سلامة موسى: هؤلاء علموني (القاهرة: دار المعارف، ب. ت، ط 2).
15. سلامة موسى، "تعليم اللغة العربية"، المجلة الجديدة (العدد 10، 1 أكتوبر 1937).

16. سيد بن حسين العفاني: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام ج.1. (جدة: دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، 1424هـ - 2004م، ط1).
17. شيرين حامد فهي، "باحثون عرب، نهضة الشرق تبدأ بفك تحيزات الغرب"، الشبكة (موقع فلاسفة العرب: [www.arabphilosophers.com](http://www.arabphilosophers.com)).
18. عبد الله العروي: الإيديولوجية العربية المعاصرة (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1995، ط1).
19. عصمت نصار: فكرة التنوير بين أحمد لطفي السيد وسلامة موسى ج.1. (الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2000م، ب.ط).
20. كمال عبد اللطيف، "حول انتقائية وهامشية خطاب سلامة موسى"، مجلة أقلام (العدد 55، 1 ديسمبر 1981).
21. محمد عمارة: الانتماء الحضاري للغرب أم للإسلام؟ (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2009، ط1).
22. مصطفى عاشور، "سلامة موسى.. في الميزان"، الشبكة (موقع إسلام أون لاين: [www.archive.islamonline.net/](http://www.archive.islamonline.net/)).

#### \* طالب باحث

- i ولد سلامة موسى عام 1887 وحصل على شهادة البكالوريا عام 1903، سافر إلى فرنسا وإنجلترا وتعرف على العديد من المفكرين الغربيين، كتب العديد من الكتب، ونادى كثيراً بالافتداء بالتجارب الغربية وروج للأفكار الاشتراكية، توفي سنة 1958.
- ii مصطفى عاشور، "سلامة موسى.. في الميزان"، الشبكة (موقع إسلام أون لاين: [www.archive.islamonline.net/](http://www.archive.islamonline.net/)).
- iii أي التي تهدف إلى تغيير النظام الاجتماعي والسياسي والثقافي من جذوره.
- iv أحمد محمد جاد عبد الحق: فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي (فريجينا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995م، ط1)، ص 586.
- v عصمت نصار: فكرة التنوير بين أحمد لطفي السيد وسلامة موسى ج.1. (الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2000م، ب.ط)، ص 58.
- vi أحمد ماضي: الفلسفة العربية المعاصرة، بحوث المؤتمر الفلسفي العربي الثاني الذي نظمته الجامعة الأردنية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1978، ط1)، صص 353-355.
- vii سلامة موسى: هؤلاء علموني (القاهرة: دار المعارف، ب.ت، ط2)، صص 11-12.
- viii سلامة موسى: نظرية التطور وأصل الإنسان (مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012، ب.ط)، ص 19.
- ix سلامة موسى: مختارات سلامة موسى (القاهرة: مكتبة المعارف، 1980، ب.ط)، ص 59.
- x سلامة موسى: تربية سلامة موسى، تحت عنوان "تربيتي العلمية" (مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012)، ص 81.
- xi سلامة موسى: تربية سلامة موسى...، مرجع سابق، ص 83.
- xii سلامة موسى: البلاغة العصرية واللغة العربية (مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012)، ص 144.
- xiii سلامة موسى: ماهي النهضة؟ (مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012)، ص 79.
- xiv سلامة موسى: تربية سلامة موسى...، مرجع سابق، ص 209.
- xv عبد الله العروي: الإيديولوجية العربية المعاصرة (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1995، ط1)، ص 49.
- xvi العالم الفرنسي جان فرانسوا شامبلون (1790-1832) هو الذي فك رموز اللغة المصرية القديمة بعد استعانتة بجورج رشيد، فأصبحت الهيروغليفية وأبجديتها تدرس لكل من يريد دراسة علوم المصريين.
- xvii سلامة موسى: مصر أصل الحضارة (مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012)، ص 12.
- xviii سلامة موسى: مصر أصل الحضارة، مرجع سابق، ص 13.
- xix سلامة موسى: مصر أصل الحضارة، مرجع سابق، ص 29.
- xx "الجمعية القابلية" سميت نسبة إلى فابريوس كونكتاتورد (نحو 275 - 203 قبل الميلاد)، وهي جمعية إنكليزية أنشئت في عام 1884 وسعى أعضاؤها إلى نشر مبادئ الاشتراكية بالوسائل السلمية. أهم أعلامها: جورج برنارد شو، سيدني ويب، غراهام والاس.
- xxi أحمد محمد جاد عبد الحق: فلسفة المشروع الحضاري...، مرجع سابق، ص 602.
- xxii سلامة موسى: الاشتراكية (مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012)، ص 17.
- xxiii عصمت نصار: فكرة التنوير بين أحمد لطفي السيد وسلامة موسى، صص 189 - 191.
- xxiv سلامة موسى: ماهي النهضة؟، مرجع سابق، ص 84.



- <sup>xxv</sup> سلامة موسى، "تعليم اللغة العربية"، المجلة الجديدة (العدد رقم 10، 1 أكتوبر 1937)، صص 10-11.
- <sup>xxvi</sup> سلامة موسى: اليوم والغد (مصر: سلامة موسى للنشر والتوزيع، 1928، ط1)، ص 54.
- <sup>xxvii</sup> سلامة موسى: اليوم والغد، مرجع سابق، ص 5.
- <sup>xxviii</sup> سلامة موسى: اليوم والغد، مرجع سابق، ص 7.
- <sup>xxix</sup> عصمت نصار: فكرة التنوير بين أحمد لطفي السيد وسلامة موسى، ص 226 – 228.
- <sup>xxx</sup> أحمد محمد جاد عبد الحق: فلسفة المشروع الحضاري...، مرجع سابق، ص 597.
- <sup>xxxi</sup> كمال عبد اللطيف، "حول انتقائية وهامشية خطاب سلامة موسى"، مجلة أقلام (العدد 55، 1 ديسمبر 1981)، ص 60.
- <sup>xxxii</sup> كمال عبد اللطيف، "حول انتقائية وهامشية خطاب سلامة موسى"، مرجع سابق، ص 60.
- <sup>xxxiii</sup> كمال عبد اللطيف، "حول انتقائية وهامشية خطاب سلامة موسى"، مرجع سابق، ص 68.
- <sup>xxxiv</sup> جوزيف كونتو (تعريب: صلاح عيسى)، "سلامة موسى، المندوب السامي للفكر الاستعماري"، مجلة عيون المقالات (العدد 12، 1 فبراير 1989)، ص 24.
- <sup>xxxv</sup> أحمد محمد جاد عبد الحق: فلسفة المشروع الحضاري...، مرجع سابق، ص 599.
- <sup>xxxvi</sup> محمد عمارة: الانتماء الحضاري للغرب أم للإسلام؟ (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2009، ط1)، ص 52.
- <sup>xxxvii</sup> سيد بن حسين العفاني: أعلام و أقزام في ميزان الإسلام ج.1. (جدة: دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، 1424هـ - 2004م، ط1)، ص 182.
- <sup>xxxviii</sup> جهاد فاضل، "سلامة موسى.. عميل حضاري للغرب"، الشبكة (موقع الراية: [www.raya.com](http://www.raya.com)) بتاريخ 2015/10/31م.
- <sup>xxxix</sup> زكي نجيب محمود: من زاوية فلسفية (القاهرة: دار الشروق، 1993م، ط4)، ص 41.
- <sup>xl</sup> شيرين حامد فهي، "باحثون عرب، نهضة الشرق تبدأ بفك تحيزات الغرب"، الشبكة (موقع فلاسفة العرب: [www.arabphilosophers.com](http://www.arabphilosophers.com))، بتاريخ 1 مارس 2007.